كالنار الموقدة في عظامي ، وقد ارهقت نفسي وانا احاول كبتها ولم استطع ! » .

ان هذا التعبير عن اليهودية في كمالها الثقافي ستبنيه الثورة العربية، بوصفها ثقافة عربية ثورية. ان على اليهود العرب المنفيين في هذه الدولة التي ليس بها من اسرائيل سوى الاسم ان يعيدوا اكتشاف وبناء التعبير الجديد عن الثقافة اليهودية. ان اشتراكهم في النضال الثوري ، في النضال ضد الصهيونية المتسلطة واسيادها الامبرياليين هو الذي سيضع اسس الانطلاقة الجديدة لليهودية العربية، من خلال البناء الثوري للامة العربية ، مع امثال الفارابي وابن ميمون ، وفي هذا النضال الثوري ستتمكن اليهودية « الاشكناز » ، التي اقتلعتها العواصف وجرائم الرأسمالية وزرعتها في فلسطين، من اعطاء عملية البناء هذه اكثر من«سبينوزا»جديد.

وكما كتبت « فتح » : « فان فلسطين تضم اذن العرب من يهود ومسيحيين ومسلمين ، بالاضافة الى اليهود من غير العرب ، اي اليهود الغربيين». وهكذا ينطلق في قلب هذه الارض المليئة بالمجد نور جديد ساطع للثقافة العالمية ، ويرتكز ذلك على بناء فلسطين عربية تكون مجال انصهار جدلي لجميع تلك المساهمات .

ولنعد الى بحث المفاهيم :

ا) **حول مفهوم اليهودية ــ العربية** : ان طرح مشكلة اليهودية العربية ضرورة منطقية للفكر المعادي للعنصرية كما انه يحمل ، للوهلة الاولى ، خطر دخول العنصرية الى الفكر المعادي للصهيونية. هذا ما يفسر جزئيا كون هذه المشكلة قد اثيرت دون تعمق حتى الان . أقول جزئيا فقط ، لان العائق الاساسي لبروز هذا المفهوم يكمن في صعوبة تركيبه من خلال الافكار الموجودة في المحيط البورجوازي العربي والغربي . لذلك ، فعلينا ان نعود مجددا الى الماركسية بوصفها أداة طرائقية ، لرفض المجتمع البورجوازي ولبناء العالم الجديد . عندئذ، وبالممارسة الثورية ، تتبلور المفاهيم .

تؤدي النظرة الثورية والماركسية بالضرورة الى رفض مفهوم الشعب اليهودي ، وذلك لاسباب عميقة لا فائدة من العودة اليها هنا ، ولكنها تسمح بالتأكيد على ان الحل الثوري الوحيد الناتج عن الماركسية يخلق الظروف التي تضع حدا لكافة اشكال التفرقة العنصرية وبالتالي للمشكلة الاساسية التي ولدت المسألة اليهودية . ولكن ، هل يؤدي رفض مفهوم الشعب اليهودي الى رفض كل تمييز لليهود ؟ هذه هي الفكرة التي سيطرت حتى الاعوام الاخيرة على فكر الماركسيين الثوريين ، اليهود منهم وغير اليهود . وكان الهجوم الشهير الذي شنه لينين على « البوند » بمثابة التبرير لهذا الراي . وكانت ركيزته الايديولوجية كامنة في الايديولوجية البورجوازية العلمانية والكارتزيانية . يؤدي التفكير في الواقع المحسوس الى التفكير في الاسس . وانطلاقا من الماركسية كفلسفة للممارسة وبعيدا عن التشويهات « الاختبارية » والمتأثرة بالمادية البورجوازية ، يجد المفاضل غنى ما كتبه ماركس حول المسألة اليهودية حيث يضع النظرة الى الانسان الكلي في مواجهة الموقف العلماني البورجوازي . كما يكتشف المفاضل غنى جدلية ما كتبه لينين حيث يضع في مواجهة الشعار البوندي الرجعي حول « الثقافة القومية » اليهودية شعار مشاركة الملامح التقليدية للثقافة اليهودية في خلق « الثقافة العالمية للحركة العمالية » ، وضرورة الاسهام ، بالنسبة للماركسيين اليهود والروس « كروس وكيهود » في هذا الخلق .

ويرى المفاضل ان لينين الذي يرفض « الثقافة القومية » اليهودية يتحدث رغم ذلك عن امة يهودية . ماذا يعني ذلك ؟ ان النظرة ، غير « الوسط ــ أوروبية » تساعدنا على فهم ذلك .

ا) لذلك علينا ان نتساءل في الوقت نفسه حول صحة المفاهيم الكارتيزيانية الجامدة للامة ، اذ ان المجتمع البورجوازي يتجه الى عدم منح هذا اللقب لغير أمته ، والى عدم القبول بالنسبة لسائر المجموعات البشرية الا بصفة « ما قبل الامة » ، والى عدم رؤية ان هذا الشكل للامة البورجوازية سيجري تخطيه ، والى رفض امكانية انتقال المجموعات التي يصفها « بما قبل الامة » الى البنى الاشتراكية بغير الطريق الرأسمالية .

في هذه المجتمعات المتعددة الفئات التي تطلق عليها أسماء مبهمة « كالبنى ما قبل الرأسمالية » او « ما قبل الامة » ، ما زال الانسان ، كما اشار ماركس في دراسته لهذه البنى ، انسانا تاما ، انسانا تصهر ثقافته ( وهي بدورها وليدة محيطه المحسوس التاريخي الاجتماعي ) مختلف مقومات الانسان من اقتصادية وسياسية وايديولوجية وبالتالي دينية. وتأخذ هذه المجموعات شكل «امة»، اي شكل جماعات تشتمل على هذه المقومات المختلفة. وبالطبع يبقى هناك التباس تغذيه الطبقات الحاكمة والمثقفون البعيدون عن الواقع . وقد يكون